مذكرة

تصرية اللمّاز الأجرب

بشرح مقاصد

خمرية الباز الأشهب

رضي الله عنه

إعداد الأستاذ

عادل شلاّر الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله مقطب الأقطاب الذي ختم النبوات بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفتح الخيرات ماء سحّاً على القلوب ووصل بين أولياء الله وبينه بمحمد صلى الله عليه وسلم وجعله مولى الموالي وقطب الأقطاب وجعل القريب إليه حاكماً في الأكوان المعنوية ساقياً لخمرة التوحيد ومظهراً للجمال والكمال النبوي ، وبعد :

هذه مذكرة مختصرة حول أهم المعانى المبثوثة في القصيدة الخمرية المنسوبة للإمام عبد القادر الجيلاني قدس الله سره توكلنا على الله واستفتحنا به على هذا العمل فمنه التوفيق والمنة وصلى على سيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وعلى أولياء الله وأخص منهم من كانت هذه المذكرة

بسببه ، وقد سميتها (تصرية اللمّاز الأجرب بشرح مقاصد خمرية الباز الأشهب) ويراد بـ (تصرية) أي قطع ومنع وحبس اللماز الأجرب الذي يعيب على الصالحين وأحوالهم ومنها العيب على خمرية الامام عبد القادر الجيلاني الملقب بالباز الأشهب لارتفاع مكانه ومكانته .

وهو الإمام الحسيب النسيب والسيد الشريف سلطان الأولياء وتاج العارفين وقطب بغداد الباز الأشهب محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيي بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب زوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد سنة أربعمائة وسبعين هجرية في جيلان العراق وهي قرية قرب بغداد ، وقد ذهب إلى بغداد وجلس على كرسي الوعظ وهو ابن عشرين سنة ، ثم جلس لتدريس جميع العلوم الشرعية وهو ابن سبعة وعشرين سنة وكان يفتي على المذاهب الأربعة وكان حافظ للقرآن بجميع القراءات ، وكان واحدا من المجددين للدين في عصره وأحد الذين قاموا بإنشاء جيل صلاح الدين الأيوبي .

قال عنه أمير المتواضعين الإمام أحمد الرفاعي الكبير : ((ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه ، وبحر الحقيقة عن يساره من أيهما شاء اغترف، لا ثاني له في وقتنا هذا)) .

توفي يوم الجمعة لعشر خلون من ربيع الأنور سنة خمسمائة وواحد وستين ودفن في رواق مدرسة أبي سعيد المخرمي

ولنبدأ بشرح الخمرية :

سَقَانِي الْحُبُّ كَاسَاتِ الْوِصَالِ ** فَقُلْتُ لِخَمْرَتِي نَحْوِي تَعَالِي

شرح :

الحب الذي قال فيه الحبيب : ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان)) فكان الإيمان الذي له حلاوة خمر اً انسكب في الكاسات والكاسات هي القالب الطيني لأهل الله الذي تحول صافياً كبلور الكاسات حتى صرت أنظر إلى معاني الإيمان تشرق من داخل القالب الطيني ، فهزني حال أولئكم الرجال الذين أحبوا الله ورسوله فوق كل حبيب ، فهتفت طالباً لخمرة الإيمان وحلاوته أن تنسكب في جوارحي كما انسكبت في قالب أولئك المفلحين .

سَعتْ وَمَشَتْ لِنحْوِى فِي لُؤوسٍ * فَهِمْتُ بِسَكْرَتِي بَيْنَ الْمَوَالِي**

شرح :

وبينما أنا أطلب وأرجو أن أذوق تلك الخمرة المحمدية فإذا بها تسعى إليّ وهي داخل كأس (قالب) من كؤوس الأولياء (قوالبهم البشرية) فلقنوني كلمة التوحيد وصبوا خمرة معاني الحب في قلبي ، وعند ذلك صرت مولىً لهم لأنهم علموني التوحيد والحبَّ فأخذني الهيام وأنا بين الموالي الذين ينالون مثلي

....

وَقُلْتُ لِسَائِرِ الأَقْطَابِ لُمُّوا ** بِحَانِي وَادْخُلُوا أَنْتُمْ رِجَالِي

شرح :

ولما همتُ أخلصتُ في المحبة للحبيب فزادني حلاوة فوق حلاوة وأسكرني بجماله حتى لم أعد أرى أحداً بيني وبين حبيبي

وتلطف بي وأقامني في الدلال والأنس وأشعرني أن لا أحداً من الموالي أقرب منك لي ، وهكذا كنت شاربا فصرت الساقي ومن حولي صاروا لي موالي وكل مولى منهم قطب ، ودعوتهم أن يشربوا مني فقد صاروا رجالي .

....

وَهِيمُوا وَاشْرَبُوا أَنْتُمْ جُنودِي ** فَسَاقِي الْقَوْمِ بِالْوَافِي مَلاَلِي

شرح :

وقد صرتم جنودي تدكون الباطل وتنشرون التوحيد فاشربوا من يدي لأن الساقي المفرّد صلى الله عليه وسلم قد ملأ لي كأسي (قالبي) بالإيمان الوافي فصار كأسي كله إيمان لا ينقص بل يزيد ، فتعالوا واشربوا من فضلة خمرة توحيدي ومحبتي الفائضة عني عليكم

…………………………………

شَرِبْتُمْ فَضْلَتِي مِنْ بَعْدِ سُكْرِي ** **وَلاَ نِلْتُمْ عُلُوِّي وَاتِّصَالِي**

شرح :

يا جنودي وكل واحد منكم قطب في الولاية إن ما شربتم هو فضلة خمرة توحيدي ومحبتي بعد أن أخذت حظي كله من السكر في أنس حبيبي لكن لم تناولوا مقامي عند حبيبي .

…………………………………

مَقَامُكُمُ الْعُلا جَمْعَاً وَلَكِنْ ** **مَقَامِي فَوْقَكُمْ مَا زَالَ عَالِي**

شرح :

أيها الشاربون من فضلتي أنتم أقطاب في مقام عال بين جميع أولياء الله ، لكن المقام الذي أنا فيه ما زال أعلى من مقامكم

وذلك لأنني في حضرة الحبيب وحدي ولستم بيني وبينه .

....

أَنَا في حَضْرَةِ التَّقْرِيبِ وَحْدِي ** يُصَرِّفُنِي وَحَسْبِي ذُو الْجَلاَلِ

شرح :

لأن الحبيب أقامني وحدي واصطفاني من بين الموالي فجعلني في حضرة التقريب إلى ذي الجلال وتركني حبيبي   صلى الله عليه وسلم عنده وحدي وغاب عني ، يفعل بي ذو الجلال ما شاء ليس بيني وبيه أحد وحسبي ذلك الفضل والنعمة من ذي الجلال .

أَنَا الْبَازِيُّ أَشْهَبُ كُلِّ شيْخٍ ** وَمَنْ ذَا فِي الرجال أُعْطَي مِثَالِي

شرح :

إن حبيبي ضرب لي مثلا في علو مقامي بالبازي الأشهب الذي يعلو الطيور في السماء وحده لا يدانيه طائر في ارتفاعه وكل شيخ في الولاية طائر يعلو دون علائي ، ولم يعط حبيبي لأحد منهم هذا المثال غيري .

....

دَرَسْتُ الْعِلْمَ حَتَّى صِرْتُ قُطْباً ** وَنِلْتُ السَّعْدَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي

شرح :

تعلمت سنة حبيبي ومشيت أتابع خطواته حتى صرت قطباً من الأقطاب ، مثل أي مولى من مواليه المتابعين له ، إلى أن

أدركني حظي وسعدي من مولى الموالي فقربني من حضرته واصطفاني على جميع مواليه .

....

كَسَانِي خِلْعَةً بِطِرَازِ عِزٍّ ** وَتَوَّجَنِي بِتِيجَانِ الْكَمَالِ

شرح :

فلما نلت السعد من مولى الموالي خلع علي الأعطيات التشريفية وتوجني بتاج الكرامة وأعطاني شهادة الكمال ففضلني بها على سائر مواليه .

....

وَأَطْلَعَنِي عَلَى سِرٍّ قَدِيمٍ ** وَقَلدَنِي وَأَعْطَانِي سُؤَالِي

وَوَلاَّنِي عَلَى الأَقْطَابِ جَمْعاً ** فَحُكْمِي نَافِذٌ فِي كُلِّ عَالِي

شرح :

وكشف لي سر التوحيد وأطلعني على صفاته وقلدني الملك على أوليائه الذي دون مرتبتي وأعطاني إجابة سؤالي من أجلهم ، وجعلني مولى لهم وجعل لي حكما عليهم نافذاً في كل مطلب عال شريف لهم .

....

فَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي وَسْطَ نَارٍ ** لَذَابَتْ وَانْطَفَتْ مِنْ سِرِّ حَالِي

وَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي فَوْقَ مَيْتٍ لَقَامَ بِقُدْرَةِ الْمَوْلَى سَعَى لِي**

وَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي فِي جِبَالٍ ** لَدُكْتُ وَاختَفَتْ بَيْنَ الرِّمَالِ

وَلَوْ أَلَقيتُ سِرِّي فِي بِحَارٍ ** لَصَارَ الْكُلُّ غَوْراً فِي الزَّوَالِ

شرح :

هذا السر الذي أعطاني إياه هو توحيده باسمه الأعظم ذلك الاسم الذي أذن لي أن ألقيه على النار فتذوب النار من جلال ذلك الاسم وتنطفيء من نور حالي الموحد لهذا الاسم الجليل ، ذلك الاسم الذي أذن لي بذكره لو ألقيت سره على ميت لقام الميت يمشي كما أتت الطيور لإبراهيم سعياً ، هذا الاسم الجليل الذي أذن لي بذكره لو ألقيت سره لتصدعت من خشيته الجبال واندكت من هيبته ، ولو ألقيت سره في البحار لزالت وتبخرت وغارت مياهها .

....

وَمَا مِنْهَا شُهُورٌ أَوْ دُهُورٌ ** تَمُرُّ وَتَنْقَضِي إِلاَّ أَتَى لِي

وَتُخْبِرُنِي بِمَأ يَجْرِي وَيأْتِي ** وَتُعْلِمُنِي فَأُقْصِرُ عَنْ جِدَالِي

شرح :

بسر الاسم الجليل الأعظم صار الزمان خادمي يخبرني ما جرى خلاله من أحداث ويتصور لي بأناسه كما تجلى بيت المقدس للحبيب المشرف عليه الصلاة والسلام فأتعلم الوقائع كما جرت دون حاجة لمجادلة الأفكار للتوصل للحقائق .

....

بِلاَدُ اللَّهِ مُلْكِي تَحْتَ حُكْمِي ** وَوَقْتِي قَبْلَ قَبْلِي قَدْ صَفا لِي

طُبُولِي فِي السَّمَا والأَرْضِ دُقَّتْ ** وَشَاءُوسُ السَّعَادَةِ قَدْ بَدَا لِي

شرح :

بلاد الله الذين يسكنها الصالحين صارت ملكي احكم في ناسها بوارثتي الكاملة لمولى الموالي عليه الصلاة والسلام وبالإذن الجليل لي بالتصرف في المملكة باسمه الأعظم ، فان مالك الملك قد أشهر ولايتي في السماء والأرض .

....

أَنَا الجِيلانِي مُحْيِى الدِّينِ إِسْمِي ** **وَأَعْلاَمِي عَلَى رُؤْسِ الْجبَالِ**
أَنَا الحَسَنِيُّ وَالْمخْدَعْ مَقَامِي ** **وَأَقْدَامِي عَلى عُنُقِ الرِّجَالِ**

ولما رفعت لي الأعلام أبصر الرجال من أولياء الله أعلامي فخضعوا لها ولما رأوا نسبي من الحبيب عليه الصلاة والسلام ولما عرفوا مقامي من م الك الملك كمقام من دخل مخدع الملك ولما رأوا أقدام سلوكي على قدم الحبيب المقرب عليه الصلاة والسلام جعلوا نسبي ومقامي وأقدام سلوكي على أعناقهم وساروا نحو حي الحبيب راجين الوصال .

....

رِجَالٌ خَيَّمُوا فِي حَيِّ لَيْلى ** **وَنَالُوا فِي الْهَوَى أَقْصَى مَنَالِ**
رِجَالٌ فِي النَّهارِ لُيُوثُ غَابٍ ** **وَرُهْبَانٌ إِذَا جَنَّ اللَّيَالِي**

رِجَالٌ فِي هَوَاجِرِهِمُ صِيَامٌ ** وَصَوْتُ عَوِيلِهِمْ فِي اللَّيْلِ عَالِي
رِجَالٌ سَائِحُونَ بِكُلِّ وَادٍ ** وَفِي الْغَابَاتِ فِي طَلَبِ الْوِصَال

شرح :

هذه هي صفات أولئك الرجال الذين توليت أمرهم وأنا من من الموالي عند مولى الموالي عليه الصلاة والسلام .

....

أَلا يَا لِلْرِجَالِ صِلُوا مُحِبّاً ** لِنَار الْبُعْدِ وَالهِجْرَانِ صَالِ

شرح :

إنكم أيها الرجال التابعين لي لا تقطعوا من يروم الوصال ولا تتركوا محبا يصلى في نار البعد والهجران عنا قربوهم إلى ربهم الرحيم واستعملوا كل سر وسلطة منحتكم إياها .

....

أَلاَ يَا لِلْرِجَالِ قُتِلْتُ ظُلْماً ** بِلَحْظٍ قَدْ حَكَى رَشْقَ النِّبَالِ

أَلاَ يَا لِلرِجَالِ خُذُوا بِثَأْرِي ** فَإِنِّي شَيْخُكُمْ قُطْبُ الْكَمَالِ

أَنَا شَيْخُ الْمَشَايخِ حُزْتُ ** عِلْماً بآدابٍ وَحِلْمٍ وَاتْصِالِ

فَمَنْ فِي أَولَياءِ اللهِ مِثْلِي ** وَمَنْ فِي الْحُكْمِ وَالْتَصْرِيفِ خَالِي

تَرَى الدُّنْيَا جَمِيعَاً وَسْطَ كُفِّي كَخَرْدَلَةٍ عَلى حُكْمِ النَّوالِ**

شرح :

يا أيها الرجال منذ أن صرت في هذا المقام وأنا ارشق بألحاظ ظالمة قاتلة كما يرشق الهدف بالنبال فخذوا بثأري من هذه الألحاظ وحولوها إلى ألحاظ محبة ، ولا تنوا في تلك المهمة فأنا معكم القطب لكم شيخ المشايخ الذي تعلم وتأدب وحلم على المؤذين واتصل بربه فأنا أدعمكم فتعلموا مني

وسيروا على سيري في تحويل الناس إلى حال المحبين ، وسوف تجدون أنه ما من أولياء الله الأحياءِ في هذا العصر من هو مثلي في الحكم على القلوب والتصريف بها وسوف تكتشفون من هم المدعون الخالون عن الحكم على القلوب والتصريف بها ، بل سوف ترون أن هذه الدنيا بما فيها كمثل خردلة في وسط كفي عند المقارنة بين نوال الدنيا ونوال الآخرة

....

مُرِيدِي لاَ تَخَفْ وَشْياً ** فَإِنِّي عَزُومٌ قَاتِلٌ عِنْدَ الْقِتال

مُرِيدِي لاَ تَخَفْ فاللَّهُ رَبِّي ** حَبَانِي رِفْعَةً نِلْتُ الْمَعَالي

مُرِيدِي هِمْ وَطِبْ وَاشْطَحْ وَغَنِّي ** وَافْعَلْ مَا تَشَا فَالإِسْمُ عَالِي

وَكُلٌّ فَتىً عَلَى قَدَمٍ وَإِنِّي ** عَلَى قَدَمِ النَّبِي بَدْرِ الْكَمَالِ

عَلَيْهِ صَلاَةُ رَبِّي كُلَّ وَقْتٍ ** كَتَعْدَادِ الرِّمَالِ مَعَ الْجبَالِ

شرح :

أيها المريد لا تخاف من الأعداء ولا وشاة الظالمين ولا تخف من الآفات المؤذية فإن لزم القتال قاتلت معك بعزيمة كبيرة .

أيها المريد لا تخاف الصد والهجران فإن رتبتي عالية أشفع لك عند ربي ليوصلك ويقربك إليه ، وإذا ذكرت ربك فأنني أشفع لك حتى يتجلى صاحب الاسم العالي عليك ، فلا تخف ولا تنزعج ممن ينكر هيامك وحالك وذكرك وهديك ، فهِم هياماً واشطح وطب نفساً ولا تنزعج منهم .. فإن كل فتى يمشي على قدم شيخه ، وأنا أمشي على قدم الحبيب محمد بدر الكمال صلى الله عليه وسلم .

الخاتمة

والحمد لله رب العالمين